الجمهورية العربية السورية
جامعة البعث
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

((أُسلوبُ القَسَمِ في القُرآنِ الكَريـــمِ))

دِراسَةٌ نَحويَّةٌ أُسلوبيَّةٌ

بحث أعد لنيل درجة الماجستير

بإشراف
د. محمود السويد
د. عبد البديـــع النيربانـــي

إعداد الطالب
إيلي كـــرم منجـــــه

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م

Syrian Arab Republic
Al-Baath University
Literature Humanistic sciences Faculty
The Arabic Language Department

((The Oath Style in the Holy Koran))

Syntactic and stylistic study

A study Presented to Acquire MSc Degree

Under the Supervision of:

Dr Mahmoud Sweid

Dr Abd Al-Badieh Al Neirabani

Prepared by student:

Elie Karam Manjah

2012-1433

المقدِّمـــــةُ :

شَغَلَ القرآنُ الكَريمُ الدارسينَ بسِحرِ بَيانِهِ الذي استولَى على قُلوبِهِم ، فاستقَرَّت في رِياضِهِ تَتَذوَّقُ أَلوانَ البَلاغَةِ العاليَةِ ، وتَتَقَرَّى سُبُلَهَا ، وتُحاولُ كَشْفَ أسرارِها ، فانطلَقت الدِّراساتُ في شَتَّى الميادينِ القرآنيَّةِ ، وقَدَّمَت إثراءً كبيراً أُضيفَ إلى عُلومِ اللغةِ العَربيَّةِ ، من نَحوٍ وصَرفٍ وبَلاغَةٍ وغَيرِهَا، إلاَّ أنَّ تلكَ الدراساتِ لم تَكُن في سَويَّةٍ واحدةٍ من جِهَةِ العُمقِ في البحثِ ، وشُموليَّتِهِ ، وأَهَمِّيَّةِ النتائجِ التي خَرَجَت بها.

ومن الأَساليبِ التي لم تَحظَ بالعِنايةِ والدَّرسِ الكافيينِ أُسلوبُ القَسَمِ الذي يَشغَلُ حَيِّزاً واسعاً في القُرآنِ الكَريمِ ، إذ يَزيدُ عَدَدُ الأَقسامِ على خَمسمِئَةِ قَسَمٍ أَحصَيتُها ، مَعَ الإشارَةِ إلى كَثرَةِ الاختلافاتِ فيها. وهذا الأُسلوبُ غَنيٌّ بأنواعِهِ وأشكالِهِ وصِيَغِهِ ، إذ يَتَفَرَّعُ إلى أساليبَ فرعيَّةٍ كثيرةٍ ، لِكُلٍّ منها مَوضعُهُ ومَكانُهُ في النصِّ القُرآنيِّ ، إذ لابُدَّ أن يُناسبَ ما اقتضَى وُجُودَهُ ، إن كَانَ لِتَثبيتِ وتَوكيدِ المَعَانِي الأَساسيَّةِ التي حَمَلَهَا القُرآنُ الكَريمُ ، كَضَرورَةِ الإيمانِ باللهِ عزَّ وجلَّ ، وعَدَمِ عِصيانِ ما أَمَرَنا بهِ ، وأَدَاءِ الفَرائضِ وطَاعةِ الرَّسولِ الكريمِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وغيرِ ذلكَ من الحَقائقِ.

وتَختَلِفُ دَرَجَةُ التوكيدِ في هذا الأُسلوبِ وَفقاً للمُخاطَبِ ، إذ تَتَّسِمُ باللينونَةِ والهُدوءِ عِندَمَا يَكُونُ الخِطابُ مُوَجَّهاً إلى المُؤمنينَ ، وتَتَّسِمُ بالشدَّةِ وزِيادَةِ دَرَجَةِ التوكيدِ عِندَما يَكونُ الكَلامُ مُوجَّهاً إلى الكافرينَ ، وهكذا ...

وقد اختَرتُ هذا الأُسلوبَ عُنواناً لِهَذِهِ الدِّراسَةِ وهو: ((أُسلوبُ القَسَمِ في القُرآنِ الكريمِ دِراسَةٌ نَحويَّةٌ أُسلُوبِيَّةٌ)) رَغبَةً في تَسليطِ الضَّوءِ على الجَوانِبِ التي لم تَشمَلهَا الدِّراساتُ السابِقَةُ لِهَذا الأُسلوبِ ، والتعمُّق في الجَوانِبِ التي لم تَنَل العنايةَ الكافِيةَ من الدَّرسِ ، بتوجيهٍ كريمٍ من مُشرفيَّ الفاضلينِ الدكتور محمود السويد ، والدكتور عبد البديع النيرباني ،إذْ إنني لم أَجِدْ دِراسَةً عِلميَّةً مُقنِعَةً تناوَلَت القَضايا النَّحويَّةَ والبَلاغِيَّةَ الأُسلُوبِيَّةَ في هذا الأُسلوبِ بالطَريقَةِ الأَكاديميَّةِ المَعهودَةِ في الأبحاثِ العلميَّةِ ، فَحَاوَلتُ جَهدِي دِراسَةَ كُلِّ قضيَّةٍ في إطارِها العامِّ ، ثُمَّ دِراستَها وتَطبيقَها في رِحابِ القُرآنِ الكريمِ .

وَقَد اطَّلَعتُ على بَعضِ الرسائلِ المُتاحَةِ للاطِّلاعِ ، والتي تَتَفاوَتُ في عُمقِهَا وأَهدافِهَا ونَتَائجِهَا نحو : (القَسَمُ في القُرآنِ الكَريمِ تَركيباً ودلالةً) للباحِثِ عبدُ اللهِ علي عبدُ اللهِ الهَتَاري ، و(أسلُوبُ القَسَمِ في القُرآنِ الكَريمِ دِراسَةٌ بَلاغِيَّةٌ) للباحِثِ علي بنِ محمدٍ بنِ عَبدِ المُحسنِ الحارثي ، وكذلكَ (أُسلوبَا الشرطِ والقَسَمِ بَينَ لُغَةِ الشعرِ الجاهِلِيِّ والحديثِ الشريفِ) للباحِثَةِ جَملَه داوود عبد الجليلِ ، لكنَّ إفادَتي مِنها كانَت ضَئيلةً جِدًّا ، لاختلافِ أَهدافِ الدِّراسَةِ وطريقَةِ العَملِ مَنهَجاً وأُسلوباً.

وتَبرُزُ جَوانِبُ الدراسَةِ في هذا البَحثِ من خِلالِ عُنوانِهِ ، إذ تتوزَّعُ باتجاهينِ أساسيَّينِ، هُمَا النحوُ والأُسلوبيَّةُ ، فَجَعَلتُ البَحثَ في مُقَدِّمَةٍ وتَمهيدٍ وثَلاثَةِ فُصولٍ اقتَضَتهَا طَبيعَةُ البَحثِ ، إذْ أَشَرتُ في المُقدِّمَةِ إلى أَسبابِ اختيارِ هذا البَحثِ وأهمِّيَّتِهِ وأَهدَافِهِ ومَنهَجِ البَحثِ فيهِ و مُسَوِّغاتِهِ ، والخُطُواتِ التي قُمتُ بِهَا حَتَّى إنجازِهِ ، ثُمَّ عَرَضتُ في التمهيدِ صُورةً مُقتَضَبَةً لِهَذا الأُسلوبِ قَبلَ القُرآنِ الكَريمِ وبَعدَهُ ، في مُحاوَلَةٍ لإظهارِ تَطَوُّرِ هذا الأُسلوبِ من خِلالِ الأَدِلَّةِ والشواهِدِ التي وَجَدتُها أثناءَ البَحثِ والتَّقَصِّي عن هذا الأُسلُوبِ قَبلَ القُرآنِ وبَعدَهُ .

وخَصَّصتُ الفَصلَ الأَوَّلَ للدِراسَةِ النَّحْوِيَّةِ الشامِلَةِ للتركيبِ القَسَميِّ القُرآنيِّ ، فَبَيَّنتُ حَدَّهُ ، والاختِلافَ في نِسبَتِهِ إلى الخَبَرِ أو الإنشاءِ ، ثمَّ عَرَضتُ أنواعَهُ في القُرآنِ الكَريمِ ، وعَكَفتُ على دِراسَةِ جُملَةِ القَسَمِ القُرآنِيِّ الاسمِيَّةِ والفِعلِيَّةِ ، الصريحَةِ وغيرِ الصريحَةِ ، فَبَيَّنتُ مَعَانِيَ هَذِهِ الأَفعالِ والأَسماءِ كما وَرَدَت في المَعاجِمِ ، ثُمَّ عَرَضتُ وُرودَها في القُرآنِ الكَريمِ ، وَبَيَّنتُ ما طَرَأَ عَلَيهَا مِنْ تَغَيُّرٍ في الدَّلالَةِ في بَعضِ الأَحيَانِ ، وحَدَّدتُ مَواضِعَها في القُرآنِ ، وأَشَرتُ إلى ما ذُكِرَ مِنهَا وما حُذِفَ ، وتَوسَّعتُ في بَحثِ أَدِلَّةَ الحَذفِ لِما لَهَا من أَهَمِّيَّةٍ في تَحديدِ عَدَدِ الأَقسَامِ ، وإظهارِ سُبُلِ تَقديرِهَا عندَما تَكونُ مَحذوفَةً ، بَعدَها انتقَلتُ إلى دِراسَةِ أَحرُفِ القَسَمِ وَوَظيفَتِهَا ومَعانِيهَا ومَواضِعِهَا وحَذفِهَا وتَعويضِهَا ، ثُمَّ تَنَاوَلتُ المُقسَمَ بِهِ في القُرآنِ وقَضاياهُ ، ثُمَّ تَنَاوَلتُ المُقسَمَ عَليهِ ، فَدَرَستُ الأَحرُفَ التي تَتَصَدَّرُهُ ومَعانِيَها ومَواضِعَهَا ، ثُمَّ بَيَّنتُ أَحوَالَ جُملَةِ الجَوابِ وقَضايَاها مِنَ الذِّكرِ والحَذفِ والتَّقديمِ والتأخيرِ وغيرِهَا، وبعدَ ذلكَ عَرَضتُ اجتماعَ القَسَمِ والشرطِ بِنوعَيهِ التقليديِّ والامتناعيِّ ، ثُمَّ سَلَّطتُ الضَّوءَ على إعرابِ جُملَتي القَسَمِ والجَوابِ وما قِيلَ فيهما .

ثُمَّ خَصَّصتُ الفصلَ الثانِيَ لِلدِراسَةِ البَلاغِيَّةِ الأُسلُوبِيَّةِ ، فَدَرَستُ فِيهِ المُقسَمَ بِهِ وَتَوَزُّعَهُ في القُرآنِ الكَريمِ وأشكالَهُ ، ومُسَوُّغاتِ حُضُورِهِ وحَذفِهِ في أَقسَامِ القُرآنِ الكَريمِ ، من خِلالِ الحُقولِ الدلاليَّةِ التي أَرجَعْتُ إليها أَنواعَهُ التي رَصَدتُهَا، ثُمَّ بَيَّنتُ الأَغراضَ الرئيسيَّةَ من إنشاءِ القَسَمِ في القُرآنِ الكَريمِ مِن خِلالِ ما وَجَدتُ في أَجوبَةِ القَسَمِ ، وأَشَرتُ إلى تَرابُطِ المُقسَمِ بِهِ والمُقسَمِ عليهِ في بَعضِ الأقسامِ ، ولاحَظتُ وُجُودَ وَشَائِجَ تَجمَعُ المُقسَمَ بِهِ مَعَ نَظائِرِهِ عِندَمَا يَرِدُ أَكثَرُ من مُقسَمٍ بِهِ في سِياقِ القَسَمِ الواحِدِ ، بَعدَها تناوَلتُ الحُروفَ المُتَهَجَّاةَ في مَطالِعِ بَعضِ السُّوَرِ ، وبَيَّنتُ أَوضاعَهَا ومَوقِعَها مِنَ القَسَمِ ، ثُمَّ اعتَنَيتُ بِقَضايا الحَذفِ والذِّكرِ، والتَّقديمِ والتَّأخيرِ، والفَصلِ والوَصلِ، والتَّعريفِ والتَّنكيرِ، فِي سِيَاقِ القَسَمِ القُرآنِيِّ ، مِن خِلَالِ وجهَةِ نَظَرِ البَلاغِيِّينَ والأُسلُوبِيِّنَ . وقَدَّمتُ لَمحَةً عَن واقِعِ فُنُونِ البَديعِ في رِحَابِ القُرآنِ التي أَفرَدَ ابنُ أَبي الإصبَعِ كِتابَاً خَاصَّاً بِهَا ، وتَنَاوَلَهَا غَيرُهُ أَيضاً، مِمَّا يُغنِي عن التكرارِ فيها ، فَقَصَرتُ دِراسَتِي هاهنا على ظاهِرَةِ التضادِ فَقَط كَظاهِرَةٍ أُسلوبيَّةٍ شَامِلَةٍ

لِلَّفظِ والمَعنَى ، لِمَا لَها من أَثَرٍ واضِحٍ في أَداءِ القَسَمِ القُرآنِي ، وتَناوَلتُ ظاهرةَ التكرارِ ضِمنَ دِراسَةِ الظواهِرِ الصوتيَّةِ في الفاصِلَةِ القُرآنيَّةِ ، وانتقلتُ بَعدَ هذا إلى دراسَةِ أَثَرِ الجانِبِ الصوتِيِّ في القَسَمِ القُرآنيِّ ، من خِلالِ دِراسَةِ الفاصلَةِ القُرآنيَّةِ التي بَيَّنتُ الأقوالَ فيها، وفي أنواعِها ، ثُمَّ أحصَيتُ حُروفَها التي انتهَت بها الأقسَامُ القُرآنيَّةُ ، وَعَرَضتُ نِسَبَ ظُهورها، وأثَرَهَا في وُصولِ الخِطابِ إلى المُخاطَبِ ، وبَعدَ استقراءِ الأقسامِ في القرآنِ وإنعامِ النَظَرِ فيها حَصَلتُ على الأَساليبِ المُتَنوِّعَةِ الأَشكالِ التي وَرَدَ من خِلالِهَا القَسَمُ في القرآنِ الكريمِ .

وبعدَ الدراسَةِ النَّحْويَّةِ والأُسلُوبيَّةِ للقَسَمِ القُرآنيِّ أَنشَأتُ فَصلاً ثالثاً صَغيرَ الحَجمِ لِتحليلِ بَعضِ الأَقسامِ القُرآنيَّةِ ، ودِراستِها كَنَماذِجَ تَعرِضُ لِبَعضِ القضايا الأُسلوبيَّةِ والبَلاغيَّةِ في أُسلوبِ القَسَمِ ، إضافةً إلى خاتِمَةٍ عَرَضتُ فيها أهمَّ النتائجِ التي تَوَصَّلَ إليها البحثُ، ولم أتوسَّع في هذا الفصلِ كثيراً ، لأنَّني أَغنيتُ البحثَ عُموماً بالتحليلاتِ التي انتشرَت في رِحابِهِ ، والأَمثلَةِ التي اجتَهَدتُ في ضَربِهَا عِندَ دِراسَةِ كُلِّ قَضيَّةٍ ، لِتكونَ دَليلاً عَمَلِيَّاً على صِحَّتِها .

وقد اعتَمدتُ في دِراستي هَذِهِ مَنهَجَ الإحصاءِ العَدَدِيِّ ما أمكَنَنِي لِحَصرِ الظواهِرِ اللغويَّةِ في هَذا الأُسلوبِ وإظهارِ أَنواعِهَا ،والمَساحَاتِ التي تَشغَلُها في أَقسَامِ القُرآنِ ودَلالاتِ ذلكَ ، فَأَحصَيتُ الأَفعالَ الصريحَةَ فِي القَسَمِ ، ثمَّ ما جَرى مَجراهَا، ومَواضِعَ الجُملةِ الاسميَّةِ، وكَذلكَ أَحرُفَ القَسَمِ وكُلَّ نوعٍ منها، ومَواضِعَ جُملةِ الجَوابِ، ومَواضِعَ الحَذفِ و الذِّكْرِ وغيرَ ذلكَ ، إذاً لا بُدَّ من تَحديدِ مَواضِعِ القَسَمِ وأَركَانِهِ قَبلَ الشروعِ في دِراسَتِهِ ، وقد قُمتُ بِجَميعِ أَعمالِ الإحصاءِ بِنَفسِي ، لِأَنَّني لم أَجِدْ أَحَداً قد قامَ بِهَذا العَمَلِ سابقاً، أولم يَظهَر لي بينَ الدراساتِ المَنشورةِ إلى الآن ، فَلَا مَعنَى لِنَتَائِجِ هذا البحثِ إذا لم تَكُن نابِعَةً من وُجُودِها الحَقيقِيِّ في القُرآنِ الكَريمِ ، ثُمَّ استَعَنتُ بَعدَ الإحصاءِ بالمَنهَجِ الوَصفِيِّ التحليليِّ للإفادَةِ من بَياناتِ الإحصاءِ التي حَصَلتُ عَليها مِن أَجْلِ استخلاصِ النتائجِ المُتَوَخَّاةِ ، التي ذَكَرتُها في نهايَةِ هذا الفَصلِ معَ الفهارسِ ومُلحَقٍ يَضُمُّ الآياتِ التي قِيلَ بِوُجودِ القَسَمِ فيها ،لِتَكتَمِلَ جَوانِبُ هذا العَمَلِ ، وَيَسهُلَ على القارِئِ العَودَةَ المُباشرةَ إلى أَيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِمَوضوعِ القَسَمِ .

و بعدَ عَرضِ ما قُمتُ بِهِ من عَمَلٍ دَؤُوبٍ أَرجُو مِنَ اللهَ سَدادَ الخُطَى فيهِ ،لا يَسَعُني إلَّا أنْ أُعَبِّرَ عن شُكري وامتنانِيَ لِأُستاذيَّ الجليلينِ د. محمود السويد و د. عبد البديع النيرباني، لِمَا قَدَّماهُ لي من نُصحٍ وتَوجيهٍ ، وأتوجَّهُ بِفَائِقِ الاحترامِ والتقديرِ للأساتِذَةِ المُناقشينَ ، لِمَا احتَمَلوهُ من عَناءِ القِراءَةِ والمُراجَعَةِ ، وتَقويمِ ما اعوَجَّ من هذا البَحثِ ، فَلَهُم جَزيلُ الشُّكرِ، ولا يُمكِنُ أن أَنسَى كُلِّيَّتِي وأَساتِذَتِي الأفاضلَ الذين أشرفُوا على دِراستي في المَرحلَةِ الجَامعيَّةِ الأُولَى

ودبلوم الدراساتِ العُليا، فالشكرُ كُلُّ الشُكرِ لِجَميعِ القائِمينَ على نَجَاحِ هَذَا االصَرحِ وتَطــويرِهِ.
وأَسأَلُ اللهَ سُبحانَهُ التوفيقَ والنجاحَ ، والحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالمينَ .

التـــمهيـــد

صُورَةٌ مُقتَضَبَةٌ لِأُسلوبِ القَسَمِ ومَراحِلِ تَطَوُّرِهِ قبلَ القرآنِ الكريمِ وبَعدَهُ

صُورَةٌ مُقتَضَبَةٌ لِأُسلوبِ القَسَمِ ومَراحِلِ تَطَوُّرِهِ قبلَ القرآنِ الكريمِ وبَعدَهُ

يُعَدُّ أُسلوبُ القَسَمِ مِن أَقدمِ أَساليبِ اللُّغَةِ العَربيَّةِ ، إذْ رَافَقَ الإنسانَ العَربيَّ مُنذُ عُصورٍ خَلَت قَبلَ الإسلامِ ، وعَبَّرَ عن احتياجاتِهِ للتوكيدِ والقَطعِ بِصِحَّةِ بَعضِ الأُمورِ أو نَفيِ صِحَّتِها، يفيدُنا في هذا القولِ ما تَرَكَهُ الأجدادُ لنا من شِعرِهِم ونَثرِهِم وأَخبارِهِم التي تَنَاثَرَت في بُطونِ بَعضِ الكُتُبِ ، أوالتي انفرَدَت بِعُنوانٍ مُستَقِلٍّ نَحو كِتابِ " أيمانُ العَربِ في الجَاهِلِيَّةِ " للنُجَيرَمِيِّ[1]، وكتابِ " الأصنامِ " لهشامِ بنِ محمدٍ بنِ السائبِ الكَلْبي (٢٠٤هـ).

وَقَد وَجَدتُ أنَّ منَ المُفيدِ والمُهمِّ أنْ أَقومَ بِدِرَاسَةٍ شَامِلَةٍ لِأَحوالِ هذا الأُسلوبِ ، والتغيُّراتِ التي أصابَتهُ قبلَ القرآنِ الكريمِ وفي رِحَابِهِ وبَعدَهُ ، مِمَّا يُفيدُ في تقديمِ صُورةٍ مُكتملَةٍ لَهُ عُموماً ، ويُساعِدُ في تَحديدِ الخصائصِ الأُسلوبيَّةِ التي امتازَ بها في رحابِ القرآنِ الكريمِ ، إذ لم أَعثُر على أيَّةِ دِراسةٍ من هذا النوعِ ، فَعُدتُ إلى نُصوصِ الأدبِ الجاهليِّ والإسلاميِّ والأُمويِّ والعباسيِّ وُصُولاً إلى العصرِ الحديثِ ، فَظَفَرتُ بِبَعضِ ما يُساعدُ في رسمِ مَلامحِ هذا الأُسلوبِ وتطوُّرِهِ عبرَ العصورِ، وإظهارِ الصِّيَغِ القديمَةِ التي أعادَ اللهُ سبحانَهُ استِعمالَهَا في القرآنِ الكريمِ ، والصيغِ التي أهملَهَا، والتجديدِ الذي طَرَأَ على ما استُخدِمَ منها ، و تَأَثُّرِ بَعضِ الأُدباءِ بالقَسَمِ القُرآنيِّ وانعكاسِهِ في أَدَبِهِم .

وبعدَ جَولَةٍ من البَحثِ في أَدَبِنَا الجاهليِّ لاحظتُ الاستخدامَ الواسِعَ للصِيَغِ الصريحَةِ في القَسَمِ (أَقسَمَ – حَلَفَ – آلَى) معَ كثرةِ استخدامِ الفِعلينِ (أقسَمَ ، حَلَفَ) قياساً على الفعلِ (آلَى) ، وهذِهِ بعضُ الأبياتِ الجاهليَّةِ التي تُبَيِّنُ استخدامَ هَذِهِ الصِّيَغِ.

قال تأبَّطَ شرًّا [2]:

وأَقسَمْتُ لا أَنسَى وإنْ طَالَ عَيْشُنَا ... صَنيعَ لُكَيزٍ والأَحَلِّ بنِ قُنصُلِ

وقالت الخرنق بنتُ بَدرٍ[3] :

أَلا أَقْسَمَتُ آسَى بَعدَ بِشْرٍ ... على حَيٍّ يَمُوتُ ولا صَدِيقِ

ونَلحَظُ في هذا البيتِ حَذفَ (لا) النافية من صَدرِ جَوابِ القَسَمِ ، وقد وردَ هذا الحَذفُ في القُرآنِ الكريمِ

([1]) – من رجال الأدب والتاريخ في النصفِ الأوّلِ من القرنِ الرابعِ الهجري في مصر، واسمهُ أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن محمد النجيرمي . ينظر الأعلام للزركلي :٤٩/١، ومقدِّمةُ كتابِ أيمان العرب في الجاهليَّةِ للنجيرمي ص٤ : وما بعد .

([2]) – ديوان تأبَّطَ شرًّا ص :٢٧ . القصيدة من البحر الطويل ، دراسَة الفعل أقسمَ ومعانيه ... ص : ١٨ من هذا البحث .

([3]) – ديوان الخرنق بنت بدر ص :٣٩ ، وهي أخت طرفة بن العبد لأمهِ ،٥٠ ق٠هـ/٥٧٤ م يُنظَر، الحماسة البصرية : ٢٢٨/١ ، خزانة الأدب : ٥٤/٥ . البيت من البحر الوافر

في قَولِهِ تَعالَى : ﴿ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾.[1] وقد وَرَدَ هذا الأسلوبُ في عدَّةِ قصائدَ منها قولُ طرفةَ بنِ العبدِ[2] :

كَقَنطَـرَةِ الرومِـــيِّ أَقسَـــمَ ربُّهَـا لَتُكْتَنَفَـــنْ حَتَّـــى تُشَـادَ بِقَرمَـــــدِ

ومنَ الأبياتِ التي قامَ القَسمُ فيها بِصيغَةِ "حَلَفَ " قولُ النابغةِ الذبيانيِّ[3]:

حَلَفْـتُ فَلَمْ أَتْـــرُكْ لِنَفسِـــكَ رِيبَـــةً وليـــسَ وراءَ اللهِ لِلمَـرءِ مَذهَـبُ

وقولُ عَبيدِ بنِ الأبرصِ: [4]

حَلَفْتُ باللهِ إنَّ اللـــــهَ ذو نِعَـــــمٍ لِمَـــن يَشَـــاءُ وذو عَفـــوٍ وتَصفَـــاحِ

وقولُ ليلى بنتِ مِرداسٍ : [5]

حَلَفْتُ يَميناً يا ابنَ قَحفَـانَ بالـــــذي تَكَفَّـــلَ بالأَرزاقِ في السهـلِ و الجَـبلْ
تَزَالُ حِبالٌ مُبرَمَـاتٌ أُعِدُّهَـــــا لَهَا ما مَشَى يَوماً على خُفِّهِ جَـمَلْ

وقولُ امرئِ القيسِ[6] :

حَلَفتُ لها باللـــــهِ حَلفَـــةَ فَاجِـــرٍ لَنَامُـوا فَمَا إنْ مِـنْ حَديثٍ ولا صَالِ

وبالنظرِ في مَعنى الفعلينِ (أَقسَمَ وحَلَفَ) في الأَبياتِ السابقَةِ ، نَجِدُ أنَّ كُلّاً مِنهُما يَنطَوي على مَعنَى الصِّدقِ في المُقسَمِ عَليهِ ، أو فيما يَعتقِدُ المُقسِمُ ، باستثناءِ بيتِ امرىءِ القيسِ، فيبـدو فيـهِ معنـى الكَذِبِ واضحاً فيما حَلَفَ عليهِ، وقد اقتصرَ الفعلُ" حَلَفَ " في القرآنِ الكريمِ على مَعنَى الإخـلافِ

---

(1) – سورة يوسف : الآية :٨٥ ، يُنظَر جـامع البيـان للطبـري : ٢٢١/١٦ ، أسـرار العربيَّـة لابـن الأنبـاري ص : ٢٥٢ ، شرح المفصل لابن يعيش : ١١١/٧ .

(2) – ديوان طرفة بن العبد (٨٦–٦٠ ق هـ/٥٣٩–٥٦٤ م) ص :٢٢، الكامل للمبرد : ١٣١/١ ،لسان العرب لابـن منظور :١١٨/٥، القَنْطَرة هي الجِسْرُ ،القرمد الآجر .ومعنى البيت :هذهِ الناقة عظيمةٌ ومرتفعةٌ كقنطرة الرومي الـذي أقسمَ أن يبنيها ليعيشَ في كنفها . البيت من البحر الطويل .

(3) – ديوان النابغة الذبياني (١٨ق٠هـ/٦٠٥ م) ص :٢٣، خزانة الأدب : ٤٥١/٨ ،صبح الأعشى: ١٩٣/٢. والبيت من البحر الطويل .

(4) – ديوان عبيد بن الأبرص (٢٥ ق٠هـ/٥٩٨ م) ص :٤٢ ، والقصيدة من البحرالبسيط ، دراسـة الفعـل حلـف ومعانيه وما يتعلَّق به ص ٢٢ من هذا البحث .

(5) – خزانة الأدب : ٢٤٥/٩، شرح الرضي على الكافية: ١٩٦/٤،شرح المفصل لابن يعيش: ١٠٩/٧ ،ليلـى بنـت مرداس :زوجة سالم بن قحافة العنبري المشهور بالكرم ، وفي هذا البيت تُقسِم ليلى على توفيرِ الحبالِ لِقيادةِ الجمالِ التي يَهبُها زوجها سالم ، إذ صنعت من خمارها حبلاً عندما لم تجد ما يقودُ بهِ ضيفُ زوجِها الجملَ الذي أُعطيَ لهُ . وفـي هذا البيت شاهدٌ على حذف حرف النفي من صدر جواب القسم (تزال) ، والقصيدة من الطويل .

(6) – ديـوان امـرئ القـيس (١٣٠–٨٠ ق٠هـ/٤٩٦–٥٤٤م) ص : ١٣٧ ، شـرح اللمـع لابـن برهان: ٥٧٥/٢ ، المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص :٣٩١ ،خزانة الأدب :٧٣/١٠، القصـيدة مـن البحـر الطويل .

والشكِّ ، إذ هو صادرٌ عن الكفَّارِ ، نحو قولِهِ تَعالَى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جاؤوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً ﴾ [1].

وقَولِهِ تَعالَى : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَلَـكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [2].

في حين اتَّسعَ الفعلُ أَقسَمَ في الدَلالَةِ لِيَشتَمِلَ على المَعنيينِ (الصِّدقِ والكَذبِ) ، نحوَ قَولِهِ تَعالَى : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾[3]، وقولِهِ تَعالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ ﴾[4].

فَمَعنَى الصدقِ بَيِّنٌ في الآيةِ الأُولَى ، يَتَحَدَّثُ فيها سُبحانَهُ عن عظيمِ مَقدرَتِهِ ، وهذا لا شَكَّ فيهِ لِمُؤمِنٍ ، في حين يَبدو كَذِبُ المُنافقينَ في الآيةِ الثانيَةِ واضِحاً عندمَا تَناولَت أَحوالَهم .

ومن أمثلةِ القَسَمِ القائمِ باستخدامِ صيغةِ الفِعلِ " آلى " قولُ المُهلهلِ بنِ ربيعةَ [5]:

آليتُ باللهِ لا أَرضَى بِقَتلِهِمُ ... حَتَّى أُبَهرِجَ بَكراً أَينَما وُجِدُوا

وقولُ المُتلمِّسِ الضُّبَعيِّ[6] :

آليتُ حَبَّ العِراقِ الدَّهرَ أطعَمُهُ ... والحَبُّ يَأكلُهُ في القَريَةِ السُّوسُ

ويَبدو من استخدامِ هذِهِ الصيغَةِ ارتباطُهَا بِمَعنَى النَّفيِ والتَّقصيرِ في المُقسَمِ عليهِ ، لِذلكَ جازَ في بيتِ المتلمِّسِ حَذفُ حَرفِ النفيِ من صَدرِ الجوابِ[7] ، إذ تقديرُ الكلامِ " لا أَطعَمُهُ " ، وقد وَرَدَت هذِهِ الصيغةُ مرَّةً واحدةً في القرآنِ الكريمِ دالَّةً على الامتناعِ عن وَطءِ النِّساءِ ، وذلكَ في قولِهِ تَعالَى : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآؤوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[8].

وأمَّا استخدامُ الأفعالِ الجاريَةِ مَجرى القَسَمِ في الشعرِ الجاهليِّ فَلَم أَعثُر إلاَّ على القليلِ النَّزرِ الذي

([1]) – النساء : ٦٢

([2]) – التوبة : ٤٢، وينطبق هذا الأمر على الآيات :٥٦-٦٢-٧٤-٩٥-٩٦-١٠٧. في هذه السورة الكريمة .

([3]) – المعارج :٤٠ .

([4]) – المائدة : ٥٣ .

([5]) – ديوان المهلهل بن ربيعة ص : ٢٧ ، العقد الفريد: ٧٦/٦ ،خزانة الأدب :١٧١/٢ ، الصحاح ٣٢٣/:٢ ط٤ دار العلم للملايين . المهلهل بن ربيعة أبو ليلى المهلهل (٩٤ ق٠هـ/٥٣١ م) من بني تغلب ، أبهرج: أدعهم بهرجاً لا يُقتَلُ فيهم قتيل ولا يُؤخَذُ لهم ديَّة ، والبهرج : الباطل والرديء من الشيء، وهو مُعَرَّب. والقصيدة من البحر البسيط .

([6]) – ديوان المتلمس الضبعي ص: ٩٥ ، الكتاب: ٣٨/١ ، شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣٠٧/٢ ، مغني اللبيب: ١٣٤/١ ، خزانة الأدب :٣٥١/٦ ، والمتلمس الضبعي (٤٣ ق٠هـ/٥٨٠ م) هو خال طرفة بن العبد ، والقصيدة من البحر البسيط .

([7]) – شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣٠٧/٢ .

([8]) – البقرة :٢٢٦

قد يَحتَمِلُ مَعنَى القَسَمِ ، نَحوَ الفِعلِ " شَهِدَ" في قَولِ عَنترةَ العَبسيِّ [١] :

والخَيلُ تَشهَدُ لِي أَنِّي أُكفكِفُهَـــــا والطعنُ مِثلُ شَرارِ النارِ يَلتَهِـــبُ

والفِعلِ " عَلِمَ " في قَولِ الحَارثِ بنِ عُبــادٍ[٢] :

لم أَكُنْ مِن جُناتِهَـــا عَلِمَ اللـــــــهُ وإنِّي لِحَرِّهَـا اليــومَ صَـــــالِ

والفِعلِ " بَدَا " في قَولِ زُهيرِ بنِ أَبي سُلمَى [٣] :

بَدا لِيَ أنَّ الناسَ تَفنَى نُفوسُهُم وأموالُهُم ولا أَرَى الدَّهرَ فانِيــَا

بَدَا لِي أنَّ اللهَ حَقٌّ فَزَادَنِي ... مِنَ الحقِّ تَقوَى اللهِ ما قَد بَدَا لِيَا

وكذلكَ الفعلُ "أَخَذَ" في قَولِ عمرو بنِ كلثومٍ [٤] :

أخَذنَ على بُعولَتِهِنَّ عَهداً إذا لاقَــوا كَتائِبَ مُــعلَمينا

لَــيَستَلِبُنَّ أَفراساً وبيضاً وأسرى في الــحَديدِ مُقَرَّنِينا

وقد اتَّسَعَ القَسَمُ غيرُ الصَّريحِ في القُرآنِ الكَريمِ اتِّساعاً مَلحوظاً لِيَشمَلَ الأَفعالَ التاليةَ : " شَهِدَ – عَلِــمَ – ظَنَّ– عاهَدَ– كَتَبَ – بَدا – قَضَى – وَعَدَ– تمَّ – تأذَّنَ – أَخَذَ الميثاقَ – تَفَكَّرَ". وهذهِ بَعضُ الشــواهدِ القرآنيَّةِ الكريمةِ التي تَدُلُّ على استخدامِ هذهِ الصِّيغِ :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَــهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ ...﴾ [٥].

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[٦]

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ ﴾[7]

([١]) – شرح ديوان عنترة بن شدَّاد (٢٢ق٠هـ/٦٠١م) للخطيب التبريزي : ص ٢٥ ، والقصيدة من البحر البسـيط .مَذهب البصريين يوجِبُ كسر إنَّ بعد القَسَم ، وقَد أجازوا الفتحَ مع اختيار الكسر ،أمَّا الكسائي والبغداديون فقد اختاروا الفتحَ معَ جواز الكسر ، وأوجَبَ الفرَّاءُ الفتحَ . يُنظر الأشباه والنظـائر للسـيوطي: ٣٤٣/٣ ، تـذكرة النُّحـاة لأبـي حيان ص : ٤٧١ .

([٢]) – الأصمعيات للأصمعي ص :٧١ ،الحماسة البصرية : ١٧/١ ،فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيـد البكري :٣٠٥/١ ، أمثال العرب للضبي: ١٣٢/١ ، البيت من البحر الخفيف .

([٣]) – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (١٣ق٠هـ/٦٠٩م) للأعلمِ الشنتمري ص :٨٧ ، خزانة الأدب : ٤٩٢/٨ ، البيت من الطويل .

([٤]) – ديوان عمرو بن كلثوم ص : ٨٦، تحقيق إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، شرح المعلقات السـبع للزوزني ص :١٨٥، أسلوبا الشرط والقسم بين لغة الشعر الجـاهلي ولغـة الحـديث الشـريف لِجَملَـه داوود عبـد الجليل ، رسالة ماجستيرص : ٦٦ .البيتان من البحر الوافر .

([٥]) – آل عمــران : ١٨ .

([٦]) – يس :١٦ .

([٧]) – فصلت : ٤٨ .

﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤولاً ﴾[١].

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢] .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حتَّى حِينٍ ﴾[٣].

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ﴾[٤]

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[٥]

﴿ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٦]

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ﴾.[٨]

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [٩].

ومن أساليبِ الجاهليينَ في القَسَمِ :

١- استخدامُ الأداةِ "لا" قبلَ المُقسَمِ بِهِ " الذي " ، وهذا الاسمُ كنايةٌ عن الخالقِ سُبحانَهُ نَحو قَولِهِمْ : ((لا والذي يَرَانِي فَوقَ سَبعَةِ أَرقِعَةٍ)) [١٠] ، أي سَماواتٍ ، و((لا والذي شَقَّ الرِّجالَ للخَيلِ والجبالَ للسيلِ)) [١١]. أي الذي خَلَقَ الرجالَ على هذهِ الهيئةِ .

---

(١) - الأحزاب :١٥ .

(٢) - المجادلة :٢١ .

(٣) - يوسف : ٣٥ .

(٤) - الإسراء : ٤ .

(٥) - النور :٥٥ .

(٦) - هود : ١١٩ .

(٧) - الأعراف :١٦٧ .

(٨) - البقرة : ٨٣ .

(٩) - سبأ : ٤٦ .

(١٠) - أيمان العرب في الجاهليَّةِ للنجيرمي ص : ٢٨ .

(١١) - المصدر السابق ص:٢٩ .

وقد وَرَدَ ما يُشبِهُ هذا الأسلوبُ في القُرآنِ الكريمِ في قولِهِ تعالى : ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَآ ﴾[١].كما استخدَمَ الرَّسولُ (ص) هذِهِ الصيغَةَ في القَسَمِ نَحو قولِهِ (ص) : (والذي نفسِي بيَدِهِ) [٢].

والأكثرُ وُروداً في القُرآنِ الكريمِ هوَ زيادةُ (لا) في بَعضِ الآياتِ قبلَ القَسَمِ كَما في قولِهِ تَعَالَى : ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِهَـذَا الْبَلَدِ ﴾[٣]. وهذِهِ الصيغةُ القسميَّةُ تَشغَلُ حيِّزاً واسِعاً في كتابِ "أيمانُ العربِ في الجاهليَّةِ" مِمَّا يَدُلُّ على كَثرَةِ استِخدامِها من قَبلُ ، إلاَّ أنَّها تَعودُ في دَلَالَتِها إلى الخالقِ سُبحانَهُ ، فهيَ أيمانُ المُؤمنينَ باللهِ وبِكُتُبِهِ التي سَبَقَت الإسلامَ ، فَهُوَ الذي فَلَقَ الحَبَّةَ، وبَرَأَ النَّسمَةَ ، وسَمَكَ السماءَ ، وأَجرَى الرِّياحَ ، وقَطَّعَ القطرَ، وهوَ الذي سَجَدَ لَهُ النَّجمُ والشَّجَرُ، والذي حَجَّت إليهِا الناسُ[٤] ، وغيرُ ذلكَ من هذِهِ المخلوقاتِ التي تَنَاولها القرآنُ الكريمُ ، وأَقسَمَ بِبَعضِها ، لِتَدُلَّ على عَظَمَةِ الخالقِ لِهذِهِ المخلوقاتِ ، نَحو قولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا *وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾[٥].

و قولِهِ تَعالَى : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَـذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾.[٦]

٢- إضافةُ المُقسَمِ بِهِ " رَبٌّ " وهوالخالقُ إلى أَحَدِ مَخلوقاتِهِ التي تَدُلُّ على عَظَمَتِهِ نَحو: ((لا وَرَبِّ الشَّمسِ والقَمَرِ، لا وَرَبِّ البيتِ والحَجَرِ)) [٧].

وقد وَرَدَ هذا النَّسَقُ منَ القَسَمِ في القُرآنِ الكَريمِ نَحوَ قولِهِ تَعَالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٨] ، وكذلكَ في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾[٩] ، و في سُورَةِ الحِجرِ قالَ تَعَالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١٠] .

---

(١) – طـه : ٧٢ .

(٢) – صحيح البخاري : باب وجوب صلاة الجماعة :١/ ١٣١ .

(٣) – البلد : ١ .

(٤) – للتوسُّع ينظَر : أيمان العرب في الجاهلية للنجيرمي ص :٣٠ وما بعد .

(٥) – الشمس :١-٧ .

(٦) – التين : ١-٣ .

(٧) – أيمان العرب للنجيرمي ص :٣٥ .

(٨) – الذاريات :٢٣ ، دراسة المُقسَم به وقضاياه ص ١٢٩: ومابعد من هذا البحث .

(٩) – النساء :٦٥ .

(١٠) – الحجر :٩٢ .

٣- استعمالُ مَصادِرِ أَفعَالِ القَسَمِ نحوَ : ((قسَماً لأفعلنَّ ذاكَ ، ويَميناً وأَلِيَّةً، ونَحْباً، وعَهْداً ، ونَذْراً، ومَوثِقاً، وميثاقاً، وحَقّاً، ولَحَقّاً، ولَيَميناً، ولَقَسَماً)) [١]، ونَجدُ مِثلَ هذا النَّسَقِ مِنَ الأَلفاظِ في قَولِ الشاعرِ[٢] :

قَسَماً لَحِينَ تَشِبُّ نِيرانُ الوَغَى يُلْفَى لَدَيَّ شِفاءُ كُلِّ غَلِيلِ

وقولِ زُهيرِ بنِ أَبِي سُلمَى[٣]:

يَميناً لَنِعمَ السيدانِ وُجِدتُما على كُلِّ حَالٍ من سَحيلٍ ومُبرَمِ

وقولِ عدي بنِ زيدٍ [٤]:

كلَّا يَميناً بِذاتِ الوَدْعِ لو حَدَثَتْ فيكمْ وقابلَ قَبرُ الماجِدِ الزَّارا

وقولِ رَجُلٍ من طَيِّئ (إسلامي) [٥] :

أَلِيَّةً لَيَحيقَنْ بالمُسيءِ إذا مَا حُوسِبَ الناسُ طُرَّا سُوءُ مَا عَمِلَا

وكَثيراً ما تُسبَقُ اليمينُ بالفعلِ حَلَفَ أو آلى ، نحوَ قولِ النابغَةِ الذبيانيِّ : [٦]

حَلَفتُ يَميناً غيرَ ذي مَثنويَّةٍ ولا عِلمَ إلاَّ حُسنُ ظَنٍ بِصاحِبِ

وقد وَرَدَت اليمينُ في سِياقِ القَسَمِ مَرَّةً واحدةً في القُرآنِ الكريمِ بِصيغَةِ الجمعِ (أيمان)، ولم تَكُن مَسبوقَةً بِفِعلٍ من أَفعَالِ القَسَمِ ، وذلكَ في قولِهِ تَعَالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾[٧]. وقامَ القَسَمُ بالمَصدَرِ " مَوثِقاً " مَرَّةً واحِدَةً أيضاً ، وذلكَ في قَولِهِ

---

(١) – أيمان العرب للنجيرمي ص :٤٤ .

(٢) – شرح الكافية الشافية لابن مالك :٨٣٦/٢ ، قائل البيت مجهول وهوَ من البحر الكامل .

(٣) – ديوان زهير ص :٦ ، والمساعد لابن عقيل :٣٠٤/٢، ارتشاف الضرب لأبي حيان : ١٧٧٦/٤ ، شفاء العليل في إيضاح التسهيل ،لأبي عبد الله محمد بن عيسى السلسيلي(٧٧٠/٧١٥هـ):٦٨٤/٢ . البيت من البحر الطويل .

(٤) – زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعدي بن زيد ص : ١١٢، د. عبد المتعال الصعيدي . وهو عدي ابن زيدِ بن حماد بن زيد العبادي التميمي (٣٦ق٠هـ/٥٨٧ م) ، الماجد هو النعمان بن المنذر ،والزارا :اسمُ موضعٍ، والبيت مأخوذٌ من قصيدةٍ طويلةٍ في المدحِ ، في لسان العرب : ٣٨٠/٨ ،ط ١، دار صادر بيروت :يريد سفينةَ نوح عليه السلام يَحْلِفُ بها ويعني بالماجِدِ النُّعمانَ بنَ المنذِرِ والزَّارُ أَراد الزارة بالجزيرة وكان النعمان مَرِضَ هنالك وقال أَبو نصر ذاتُ الودْعِ مكةُ لأَنها كان يعلق عليها في سُتُورِها الوَدْعُ ويقال أَراد بذات الوَدْعِ الأَوْثانَ أَبو عمرو الوَدِيعُ المَقْبُرةُ . البيت من البحر البسيط .

(٥) – شرح الكافية الشافية لابن مالك :٨٥٤/٢ ، يحيق : ينزل ، طُرًّا : جميعا ، البيت من البحر البسيط .

(٦) – ديوان النابغة الذبياني ص :٢٩ ، تفسير الطبري :٢/ ،٢٦٣ وقوله : "مثنوية" أي استثناء . فهو يقول لعمرو بن الحارث الغساني : حلفت يميناً لئن كان من هو – من ولد هؤلاء الملوك من آبائه ، الذين عَدَّدَ قبورهم ومآثرهم – ليغزون من حاربه في عقر داره وليهزمنه ، ولم أقل هذا عن علم إلا ما عندي في صاحبي من حسن الظن ،تفسير القرطبي: ٥/٢ ، خزانة الأدب : ٣٢٩/٣ ، والقصيدة من البحر الطويل .

(٧) – سورة القلم :٣٩ .

تَعَالى : ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[1]

٤- استخدامُ أَحرُفِ الواوِ والباءِ والتاءِ في القَسَمِ ، وقد أَورَدْتُ في الأَمثِلَةِ السَّابقَةِ استخدامَ الواوِ والباءِ ، وهما كثيرانِ طاغِيَانِ في الشِّعرِ الجاهِليِّ ، وأقلُّ منهما التاءُ ، ونَزَرَ استخدامُ اللامِ ، ومِمَّا كانَ القَسَمُ فيهِ قائماً باستخدامِ حَرفِ التَّاءِ قَولُ زُهيرِ بنِ أَبي سُلمَى[2]:

تَاللَّهِ قَد عَلِمَت سَرَاةُ بَنِي ذُبيَانَ عَامَ الحَبسِ والأَصرِ

وفي هذا البيتِ حَذفٌ لِلَّامِ في صَدرِ جَوابِ القَسَمِ ، ممَّا يقوِّي القولَ بأنَّ قولَهُ تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[3] جوابٌ لِلقَسَمِ، وقد حُذِفَت منهُ اللامُ.

ومن استخدامِ التاءِ في القَسَمِ قولُ قيسِ بنِ الحدادِيَّةِ[4] :

فَقُلتُ لَهَا تَاللَّهِ يَدرِي مُسافِرٌ إذا أَضمَرَتْهُ الأَرضُ ما اللَّهُ صَانِعُ

وربَّما تَضمَّنَ القَسَمُ بالتاءِ مَعنَى التَّعجُّبِ في بَعضِ الأَقسامِ الجاهليَّةِ كما في البيتِ السابقِ ، إذ يَتَعجَّبُ الشاعِرُ من سُؤالِ مَحبوبَتِهِ عن مَوعِدِ العَودَةِ مِنَ الرَّحيلِ ، وهوَ أمرٌ لايَعلَمهُ إلاَّ اللهُ ، إذ قالَت لَهُ :

فَقَالَت وعَيناهَا تَفيضَانِ عَبرَةً بأَهلِي بَيِّن لِي مَتَى أَنتَ رَاجِعُ

وقَد أَشَارَ بَعضُ النُّحاةِ والمفسِّرينَ إلى هذا المَعنى ، في مِثلِ قولِهِ تَعالَى : ﴿ قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾[5] .

ومن استخدامِ اللامِ في القَسَمِ الجاهليِّ قولُ فاطمةَ بنتِ مُرٍّ الخَثعَمِيَّةِ[6] :

لِلَّهِ ما زهريَّةٌ سَلَبَتْ ثَوبَيكَ ما استَلَبَتْ وما تَدرِي

ولم تأتِ اللامُ في القُرآنِ الكريمِ حَرفَ قَسَمٍ .

٥- من أَساليبِ القَسَمِ في الجَاهليَّةِ قَولُهُم : وايمُ اللهِ ، وايمُنُ اللهِ ، و مُ اللهِ ، وعَمرُكَ اللهُ بالضمِّ والفَتحِ وقِعْدَكَ اللهُ ، و قَعيدَكَ اللهُ. ومن هذا القَبيلِ قَولُ عُروةَ بنِ الوَردِ [7]:

---

(1) - سورة يوسف :٦٦ .

(2) - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى للأعلم الشنتمري ص : ٦١، الحبس والأصر :الضيق وسوء الحال . خزانة الأدب : ٣١٩/٦ ، والبيت من البحر الكامل .

(3) - الشمس :٩ ، مغني اللبيب : ٨٤٥/٢ .

(4) - الحماسة البصرية : ١٣٩/٢، قيس بن منقذٍ بن عمرو،من بني سلول بنِ كعبٍ من خزاعةَ (١٠ ق٠هـ/٦١٢م) ، وفي خزانة الأدب للبغدادي : ٥٢٤/٧ البيت منسوب إلى الكميت ، والبيت من البحر الطويل .

(5) - سورة يوسف :٨٥ ، ينظر الكشاف للزمخشري :٤٩٠/٢ ، شرح المفصَّل لابن يعيش :٣٥/٨ ، البحر المحيط لأبي حيَّان :٣٢٧/٥ .

(6) - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام لِعُمَر كحالة :١٤٣/٤ ، والبيت من البحر الكامل .

(7) - ديوان عروةَ بنِ الوردِ بنِ زيدٍ العبسي (٣٠ق٠هـ/٥٩٣ م) ص :٦٦ ، تذكرة النحاة ص :٤٠٣-٤٠٤، البيت من البحر الطويل .

٥- كانَ المُقسَمُ به في القرآن الكريم غنيًّاً ومتنوِّعاً، ذُكِرَ في مئةٍ وتسعةٍ وثلاثينَ موضعاً، عدا الأحرفَ المقطَّعة التي بَلَغَ عَدَدُها ثلاثينَ حرفاً، ويُصنَّفُ المقسَمُ به في ثمانيةٍ وعشرين نوعاً إضافة إلى الأحرف المقطَّعةِ، ويعودُ المقسَمُ به إلى مصدرين أساسيَّين هما الخالق سبحانَهُ ومايتعلَّقُ به من أفعالٍ وأقوالٍ، والمخلوقُ ومايتعلَّقُ به

٦- كانَ الحذفُ من أهمِّ السماتِ الأسلوبيَّة البارزةِ في القَسَمِ القرآنيِّ لاسيما في جُملَةِ القَسَمِ

٧- أفادَ التعريفُ التنكيرُ في القَسَمِ القرآنيِّ العديدَ من المعاني كالمُبالغةِ والتعظيمِ والتحقيرِ والإيجازِ...، وبالتدقيقِ في المعاني التي أفادَها كلٌّ منهما تَبيَّنَ لي وجودُ العديدِ من المعاني المُشتركَةِ بينَهما مثلَ التعظيمِ والتحقيرِ والمبالغةِ والعمومِ، وهذا يشيرُ إلى أهميَّةِ السياق في إكسابِ الكلمةِ المعرَّفَةِ أو النكرةِ المعنى الذي تَشي بِهِ

٨- بعد الاطِّلاعِ على أقسامِ القرآنِ الكريمِ س لي أنَّ ترابُطَ المُقسَمِ بهِ والمُقسمِ عليهِ ليسَ أمراً ضروريا.

Summary of the research in English language

The summary

The oath style is considered one of the oldest in Arabic language, it accompanied the Arabic Man from pre-Islamic age, he expressed his needs for emphasis, and prove the truth of some things or the opposite. We get benefit from this saying what our grandparents left to us from their poetry, prose and their news which can be found in some books or which has an independent heading like the book "The Arab faith" by Noujairami and the book of "Idols " by Ibn Al-Kalbi and others. I found it is important and interesting to have an extensive study for the conditions of this style before the Holy Koran, and the changes which affected it in the Holy Koran and after that, with greater concentration on the positions of this style in the Holy Koran. This can give an integrated picture for this style in general and it can identify its grammatical, stylistic and figures of speech characteristics whish specified it in Holy Koran.

This research is composed of : introduction and three chapters. I presented in the introduction an outlook about the oath style before the Holy Koran, then I indicated to the similarities between the pre-Islamic oath style and the Holy Koran oath style. I presented the stylistic, syntactic issues in the first chapter and the opinions of grammarians and interpreters. Then I assigned the second chapter for the study of figures of speech in the Holy Koran in addition to the study of vocal side and its effect on the oath way and also the conditions of the things that one has the oath in and its forms in the Holy Koran in addition to many important issues in this style.

And in the third chapter from this leaflet I analyzed some examples for this oath style explaining the issues that I studied and the results that I reached. The most importantly:
1-All forms of oath appeared in the Holy Koran: clear, unclear , referential ……

2- The unclear part in the Holy Koran is large and variety of used verbs in this track.
3-Variety of forms of Koran oath so it was very rich, and I spotted thirty eight forms which indicated the development and branches of this style in the Holy Koran.
4-The verbal sentence overwhelmed in the Holy Koran more than the phrases in the conditional sentences.
5- The thing which had oath was rich and various, it was mentioned in one hundred and thirty nine position in addition to the syllabic letters which were numbered thirty letters. The oath is divided into twenty eight types in addition to syllabic letters and it is referred to two main sources: the Creator and everything related to it: sayings and deeds. The creature and everything related to it.
6-Ellipsis was one of the prominent , stylistic characteristics in the Koran Oath especially in the oath sentence.
7-Definite and indefinite gave in the Koran oath many meanings like exaggeration , glorification and degradation and briefing. Through inspection in the meanings which were given I found many common meanings like exaggeration , glorification and degradation and this refers to the importance of context in giving knowledge to the word.
8- After looking at the parts of the Koran , it was clear to me that the bond between the sworn thing and the thing which was sworn in is not necessary.